

الاقتصاد السعودي: تحدي التحرر من "عبودية" النفط

وحدة الأبحاث - مركز طوى للدراسات السعودية

في أعقاب انهيار أسعار النفط في أكتوبر 2014، حذّر صندوق النقد الدولي السعودية، ودولاً أخرى، من أن يصل عجز موازنة السعودية للعام 2016 إلى 150 مليار دولار¹. وذكر تقرير للصندوق في 27 أكتوبر من العام 2015، أنّ السعودية، من بين دول شرق أوسطية أخرى، سوف تعاني من الإفلاس خلال خمس سنوات بسبب الهبوط في أسعار النفط. وإذا أرادت تلبية التزاماتها فلا بدّ أن يصل سعر البرميل إلى 106 دولارات². وبحسب محلّ في سيتي بنك، فإنّه من دون اللجوء إلى الإقتراض، فإنّ مدّخرات البلاد قد تجفّ في غضون عامين أو ثلاثة³.

تلك الرسائل التحذيرية تلتفتها السعودية بعد أن اقترب اقتصادها من عنق الزجاجة، وبات على صنّاع السياسات الاقتصادية استيعاب التحذير من أن تنوع مصادر الدخل بات حلاً إنقاذياً لا مناص منه، بدلاً من الترويج لدعاية زائفة حول متانة الاقتصاد السعودي.

¹ السعودية تتجه لإصدار صكوك تمويلاً لعجز الموازنة، وكالة رويترز 6 سبتمبر 2015، موقع (العربي الجديد) الرابط: <http://www.alaraby.co.uk/economy/2015/9/6/السعودية-تتجه-لإصدار-صكوك-تمويلا-لعجز-الموازنة>

² Hazel Sheffield, One chart that shows which Middle Eastern countries could run out of money in less than five years, Independent, 27 October, 2015; see: <https://cutt.ly/Jr6spT>

³ Rori Donaghy, Senior Saudi royal urges leadership change for fear of monarchy collapse, Middle East Eye, 22 September 2015, see: <https://cutt.ly/Or6dWJ>

وعلى مدى عقود، ظلّ سؤال تنويع مصادر الدخل يرافق الملوك السعوديين على الدوام، وكلما بدأت بوادر أزمة اقتصادية تلوح في الأفق كان يعاد طرح السؤال مجدداً وبإلحاح بحثاً عن إجابة حاسمة. وكان السؤال مدفوعاً بهاجسين أساسيين:

الأول: انخفاض الاعتماد على النفط. وبحسب تقرير صدر عام 2020 عن صندوق النقد الدولي: "من المتوقع أن تنخفض الإيرادات من النفط، على المدى المتوسط، وذلك بسبب تراجع الطلب العالمي ابتداء من عام 2040، إن لم يكن قبل ذلك"⁴. من جهة أخرى، توقع مركز (Carbon Tracker) أن يواجه العديد من أكبر منتجي النفط في العالم انخفاضاً كبيراً في الإيرادات، وقد تكون الاقتصاديات النفطية هي الأكثر تضرراً. وفي جميع أنحاء العالم، تخاطر جميع الدول المنتجة للنفط بخسارة جماعية بقيمة 13 تريليون دولار بحلول عام 2040 مقارنة بتوقعات الصناعة، أي بانخفاض قدره 51.5%. ويعود ذلك جزئياً لأن الدول الغربية تخطط للابتعاد كلياً عن الوقود الأحفوري في الصناعة والتوجّه العالمي نحو الطاقة النظيفة والمتجدّدة والطاقة المستدامة الخضراء، كما تخبر الوقائع الرقمية. في عام 2022، تمّ تزويد 38% من الكهرباء في العالم من خلال مصادر توليد خالية من الكربون (الطاقة النووية والطاقة الكهرومائية ومصادر الطاقة المتجددة مجتمعة)، ومع أن نظام الكهرباء العالمي لا يزال مدعوماً في الغالب بالطاقة الأحفورية، لكنه يخضع لتحول سريع بشكل متزايد⁶.

وقد أدركت السعودية أهمية التوجّه نحو مصادر بديلة للطاقة لتقليل استنزاف ما لديها من احتياطات نفطية، والحد من التلوث البيئي. وبحسب احصائيات رسمية عن المسح المنزلي لعام 2021 فإن 57.37% من سكان السعودية يعانون من التلوث الهوائي⁷.

⁴ The Future of Oil and Fiscal Sustainability in the GCC Region, Middle East and Central Asia Department Research Department, International Monetary Fund, No: 2020/001, 6 Feb, 2020, p.2

⁵ Petrostates need to bridge \$9 trillion income gap in energy transition, Carbon Tracker, 11 February 2021; <https://carbontracker.org/petrostates-13-trillion-gap-energy-transition-pr/>

⁶ At a Glance: How Renewable Energy Is Transforming the Global Electricity Supply, NREL transforming ENERGY, Sep 26, 2023; <https://rb.gy/awqyIs>

⁷ مسح البيئة المنزلي لعام 2021م، الهيئة العامة للإحصاء، الرابط:

https://www.stats.gov.sa/sites/default/files/Household%20Environment%20Survey%202021Ar_0.pdf

في عام 2019 صدر قرار بتغيير مسمى وزارة البترول والثروة المعدنية إلى وزارة الطاقة باستدماج مصادر الطاقة البديلة والنظيفة ضمن مجال عمل الوزارة والانتقال إلى مرحلة لا يكون فيها النفط المصدر الوحيد للاستهلاك والدخل، واستغلال الرياح والشمس في إنتاج الطاقة المتجددة. وبحسب الخطة المقترحة في البرنامج الوطني للطاقة المتجددة في إطار رؤية 2030 فإن الهدف هو "زيادة حصة المملكة في إنتاج الطاقة المتجددة إلى الحد الأقصى"⁸. وإنتاج طاقة متجددة تبلغ قدرتها 45.4 جيجا وات في عام 2020.

ومنذ بداية البرنامج الوطني للطاقة المتجددة في عام 2017، تمّ طرح 2.170 ميغاواط من مشاريع الطاقة منها 700 ميغاواط تم ترسيته في عام 2019 وترسية 1.470 ميغاواط أخرى في عام 2020.⁹

وعلى الرغم مما يتوافر لدى الجزيرة العربية من شمس ورياح كموارد للطاقة المتجددة، إذ صنّفت المملكة السعودية في المرتبة السادسة، الثالثة عشرة عالمياً فإن استغلالها لهذه الموارد لا يزال محدوداً. وبحسب هيئة الإحصاء فإن 1.6% من المساكن فقط تستخدم الطاقة الشمسية¹⁰. كما إن إجمالي إنتاج الطاقة الشمسية المركبة في السعودية في عام 2021 وصل إلى 439 ميغاوات¹¹. وذلك بزيادة لا تتجاوز 30 ميغاواط عن عام 2020¹². وكان إجمالي إنتاج الطاقة المتجددة لعام 2020 يقف عند 413 ميغاواط، وهو أدنى بكثير من إنتاج الطاقة في بلد يخضع للعقوبات مثل سوريا حيث بلغ إجمالي إنتاج الطاقة المتجددة 1500

⁸ الموقع الرسمي لوزارة الطاقة، الرابط: <https://powersaudiArabia.com.sa/web-ar/index.html>

⁹ البرنامج الوطني للطاقة المتجددة، وزارة الطاقة، الرابط:

https://powersaudiArabia.com.sa/web-ar/attach/news/Round%203%20RFP_Press%20Release_AR.pdf

¹⁰ هيئة الإحصاء: 1.6% من المساكن السعودية تستخدم الطاقة الشمسية، العربية، 7 يناير 2020، الرابط:

<https://shorturl.at/iBCX1>

¹¹ الطاقة الشمسية في المملكة العربية السعودية حجم السوق وتحليل الأسهم - اتجاهات وتوقعات النمو (2024-2029)، الرابط:

<https://www.mordorintelligence.com/ar/industry-reports/saudi-arabia-solar-energy-market>

¹² Renewable Energy Statistics 2021, International Renewable Energy Agency IRENA, p.44;

<https://shorturl.at/ksyBZ>

ميجاواط¹³. ولم يتجاوز انتاج طاقة الرياح في عامي 2019 عتبة 6 جيجاوات، فيما تنتج ايران الخاضعة للعقوبات ما مقداره 634 جيجاواط¹⁴.

الثاني: تراجع الإحتياطي النفطي المحلي، وقد عمدت السلطات السعودية الى إخفاء حقيقة المخزون الإجمالي من النفط على مدى عقود، حتى بات بمنزلة قضية أمن قومي. ولكن الدراسات التخصصية التي أجراها خبراء في مجال النفط كشفت عن حقائق مخيِّبة بالنسبة لصانع القرار في المملكة السعودية.

وقد اعتاد المراقبون في الخارج على "العبة الأرقام" السعودية وخصوصًا فيما يتعلق بالاحتياطي الإجمالي من النفط. في بداية العام 1989 أعلنت السعودية عن احتياطيات نفطية ثابتة تبلغ 170 مليار برميل. وبعد عام واحد فقط، ومن دون اكتشافات جديدة لحقول نفط، ارتفعت تقديرات الاحتياطيات الرسمية بطريقة أو بأخرى بنسبة 51.2%، لتصل إلى 257 مليار برميل. وبعد ذلك بوقت قصير، ارتفع مرة أخرى إلى 266 مليار برميل أو نحو ذلك، وهو المستوى الذي استمر حتى زيادة طفيفة في عام 2017 إلى 268.5 مليار برميل¹⁵.

الحقائق التي قدّمها خبراء نفطيون وجيولوجيون متخصصون في الصناعة النفطية تناقض ما تقدّمه السعودية من مزاعم غير مسنودة إلى حقائق أو أن تلك المزاعم في حد ذاتها متضاربة مقارنة بين ما قبل وما بعد. ويعد كتاب الجيولوجي المتخصص في الصناعة النفطية ماثيو سيمونز بعنوان (شفق في الصحراء) "Twilight in the Desert" الصادر سنة 2005 أكثر الدراسات جدية في هذا المجال، كونه يستند على 200 ورقة أكاديمية حول الموضوع. ومن الخلاصات الرئيسة التي قدّمها سيمونز في ضوء تلك الدراسات أن بعض

¹³ Renewable Energy Statistics 2021, International Renewable Energy Agency IRENA, p.6;
<https://shorturl.at/ksyBZ>

¹⁴ Renewable Energy Statistics 2021, International Renewable Energy Agency IRENA, p.29, ibid

¹⁵ Simon Watkins, The Facts Behind Saudi Arabia's Outrageous Oil Claims, Oil Price.Com, Oct 13, 2021;
<https://oilprice.com/Energy/Energy-General/The-Real-Facts-Behind-Saudi-Arabias-Wild-Oil-Claims.html>

حقول النفط الرئيسية في المملكة السعودية، هي في أيامها الأخيرة من الإنتاج. فقد تمّ اكتشاف حقل "بقيق"، الذي يصفه بـ"أرملة الملك" لحقول النفط في عام 1940، وبدأ الإنتاج فيه سنة 1946، ولكنه نضب الآن بنسبة أكثر من 70%. بدأت مناطق عين دار/شدقم، وهي أكثر المناطق إنتاجية في حقل الغوار، الذي يعد ملك ملوك جميع حقول النفط، وقد بدأ الإنتاج فيه سنة 1951، ونضب بنسبة تتجاوز أكثر من 60%¹⁶. وفي عام 2002، صرح وزير النفط السعودي، علي النعيمي، لمراسل صحيفة Upstream الصناعية أن أبقيق أنتج أكثر من 70% من إجمالي احتياطياته، لكن الحقل لا يزال ينتج 500 ألف برميل يومياً¹⁷.

يبدو ان المبالغة في حيازة احتياطيات عالية من النفط والغاز باتت لعبة المنتجين حفاظاً على موقعهم السوقي، ولا غرابة في اعلان السعودية عن تربّعها على عرش الدول الأكثر امتلاكاً لاحتياطيات النفط، حيث أعلنت عن امتلاكها 267.19 مليار برميل متجاوزاً العراق الذي جاء في المرتبة الثانية بواقع 145.01 مليار برميل دون تغيير عن عام 2021¹⁸.

وذكرت وكالة "بلومبرغ" الاقتصادية بأن المملكة تمتلك في المجموع 226 مليار برميل من الاحتياطيات، وهو ما يكفي لمدة 52 عاماً أخرى من الإنتاج وبعد أقصى 12 مليون برميل يومياً، حيث تم استخراج 40 في المائة من النفط، وهو رقم كبير¹⁹.

أما على مستوى احتياطي الغاز، ففي تقرير لوكالة "بلومبرغ" ذكر أن السعودية لا تسيطر سوى على 10 في المائة من احتياطيات الغاز في المنطقة، بينما تسيطر إيران على 42 في المائة وتسيطر قطر على 31 في المائة. ومع ذلك، فإن السعودية وضمن سياسة تظهير المنجز القياسي، أعلنت عن اكتشاف حقل

¹⁶ Matthew Simmons, Twilight in the Desert: The Coming Saudi Oil Shock and the World Economy, Wiley, USA, 2005, p.118ff

¹⁷ Matthew Simmons, Twilight in the Desert, ibid. p.195

¹⁸ السعودية الأولى عربياً في احتياطيات النفط 2023، صحيفة الوطن السعودية، 31 ديسمبر 2023، الرابط:

<https://shorturl.at/svOP6>

¹⁹ Javier Blas, The Biggest Saudi Oil Field Is Fading Faster Than Anyone Guessed, Bloomberg, April 2, 2019; <https://bloom.bg/2Vgklgq>

غازي في منطقة الجافورة بالأحساء، شرقي الجزيرة العربية. وكان وزير الطاقة عبد العزيز بن سلمان كان قد أعلن عن وجود 15 تريليون قدم مكعب في الحقل الذي أعلن عن اكتشافه في 2018 ولكن توقف العمل فيه على نحو مفاجيء وتسريح العمال قبل أن يعلن عن العمل فيه مجدداً. وقد شكك موقع أويل برايس في المعطيات التي قدمها وزير الطاقة بناء على قراءة النمط السعودي في تقديم المعطيات غير الواقعية والمتضاربة في الغالب، وأيضاً في الخلفية السياسية التي ينطلق منها الاعلان السعودي، حيث تقدم نفسها على أنها أحد منتجي الغاز الى جانب اميركا وروسيا وايران وقطر وهذه الاحتياطات تسمح لها بأن "تصبح دولة طاقة أكثر مراعاة للبيئة (من خلال تعزيز إمدادات الغاز المحلي لتوليد الطاقة، وبالتالي تقليل الحاجة إلى حرق النفط) وأن تصبح مصدراً رئيسياً للغاز بحلول عام 2030"، بحسب سيمون واتكينس²⁰. في الواقع، وفي ضوء التجارب السابقة فإن الرواية السعودية عصية على الهضم، ولا تسعف المزاعم المبنوثة في العلقن على تصديقها، ويذكر هنا ما حصل في عام 2020، عندما انخفض الحد الأقصى العالمي للكبريت الذي حدته المنظمة البحرية الدولية (IMO) للوقود البحري إلى 0.5 في المائة من 3.5 في المائة، وذكرت أن أرامكو السعودية ستتوقف عن إنتاج زيت الوقود بالكامل في مصافيها خلال السنوات الخمس التالية. ولكن أحد كبار محلي صناعة النفط، ذكر إن ما حدث هو أنه من أجل تحقيق هذا الهدف، كل ما فعلته المملكة السعودية هو زيادة وارداتها من زيت الوقود بشكل كبير بدلاً من ذلك، ما يلغي أي فوائد محتملة من القضاء على النفط. وتكرر الموضوع أيضاً مع زيت الوقود الذي صدرت منه السعودية في العام 2018 ما متوسطه 340 ألف برميل يومياً، لكنها عادت واستوردت ما يزيد عن 300 ألف برميل يومياً خلال الفترة ذاتها. وعليه، ذهب زيت الوقود المستورد إلى مراكز توليد الطاقة المحلية، وذهب زيت الوقود المصدر إلى الأسواق السعودية الكبرى، وخاصة الهند وشرق إفريقيا. وبحساب اجمالي

²⁰ Simon Watkins, Is Saudi Arabia's Gas Megaproject Jafurah Too Good to be True?, Oil Price, Mar 05, 2024; <https://oilprice.com/Energy/General/Is-Saudi-Arabias-Gas-Megaproject-Jafurah-Too-Good-to-be-True.html>

الانتاج المتوقع في حقل الجافورة بحلول عام 2030 تبلغ حوالي 334 ألف برميل يوميًا، وهو ما لا يكفي لتغطية الكمية الحالية من النفط - 500 ألف برميل يوميًا - التي يتم حرقها لتوليد الطاقة في المملكة السعودية²¹.

وفيما تتحوّل السعودية الى الغاز لتوليد الكهرباء بدلاً من النفط بهدف زيادة صادرات النفط على المدى القصير، فإن طلبها على الغاز ارتفع بنسبة 3.7 في المائة سنوياً، وتعد واحدة من أسرع المعدلات بين المستهلكين الرئيسيين.

على نحو عام، كان على النظام السعودي القيام بمراجعة شاملة وراдикаلية لاستدراك الفائت من الفرص وحتى لا يصل إلى هاوية اقتصادية لا مخرج منها.

الاقتصاد السعودي: بين القوة والضعف

في نظرة موضوعية، يمكن أن نرصد نقاط القوة التي يتمتع بها اقتصاد المملكة وفي طبيعتها:

- النفط واحتياطياتها: وعلى الرغم من تضارب التقديرات حول الاحتياطي الفعلي من النفط وتعتمد السلطات السعودية التكتّم على هذا السر لأسباب تتعلق بالسوق ومعادلة العرض والطلب والدور السعودي في منظمة أوبك، فإن التقديرات المعتدلة تفيد بأن المملكة لديها نحو 10% من الاحتياطي المؤكد في العالم، مع أن هذه النسبة ليست ثابتة، ولكنها تشكل عاملاً حاسماً في عمليات أوبك والأسواق العالمية بصورة عامة. وعلى الرغم من الصخب المصاحب لحملات الترويج لمشاريع الرؤية، فإن النفط لا يزال يمثل المرتكز الأساس للاقتصاد الوطني وتشكل عائداته نسبة لا تقل عن 50% من الناتج المحلي الاجمالي و90% من صادراتها، بحسب الاحصاءات الرسمية لعام 2023²². وكان ولي العهد محمد بن سلمان قد أعلن في مقابلة تلفزيونية مع قناة (العربية) في إبريل

²¹ Simon Watkins, Is Saudi Arabia's Gas Megaproject Jafurah Too Good to be True?, ibid

²² Saudi Arabia's Non-Oil Revenue Hits 50% Of GDP, Oil Price, 17 March 2024;

<https://oilprice.com/Energy/General/Saudi-Arabias-Non-Oil-Revenue-Hits-50-Of-GDP.html>

2016 بما نصّه: (نستطيع أن نعيش في 2020 دون نفط)²³. وقد مضى أربع سنوات على هذا الوعد، ولا يزال النفط يحتفظ بموقعه المركزي في الناتج المحلي الاجمالي وفي ايرادات الميزانية السنوية²⁴.

- الاحتياطي المالي من العملات الأجنبية: والذي بات الرأسمال الاستثماري لدى صندوق الاستثمارات العامة. وكانت السعودية تحتل المركز الثالث على المستوى العالمي في احتياطي الصرف الأجنبي لعام 2015 (بعد الصين واليابان على التوالي) باحتياطي قدره 616.4 مليار دولار، أي ما يعادل 5.2% من احتياطي الصرف الأجنبي²⁵. ولكن الاحتياطي الاجنبي سجّل انخفاضًا كبيرًا بنهاية العام 2023 ووصل الى 411.87 مليار دولار²⁶. ولا بد من الإشارة الى أن البيانات الصادرة عن البنك المركزي السعودي "ساما" متضاربة في كثير من الأحيان، حيث يقدّم أرقامًا متباينة. ومع ذلك، فإن مركز السعودية على المستوى العالمي في احتياطي الصرف الأجنبي تراجع بحلول العام 2024 حيث هبطت الى المركز السابع وبواقع 439.123 مليار دولار²⁷.

ويلعب الاحتياطي المالي دورًا رئيسًا في النمو الاقتصادي على المدى الطويل. وبحسب ملاحظة الباحثة منال عفان، فإن النمو الاقتصادي شهد تحسّنًا في الفترة ما بين 1978 - 2017 وانخفض سعر الصرف الحقيقي الفعال بشكل واضح منذ عقد التسعينيات في إشارة إلى تحسن الوضع التنافسي للمملكة السعودية في السوق العالمي، وزاد التراكم الرأسمالي والاستثمار الاجنبي المباشر منذ ذلك العقد وانعكس ذلك على مجمل الأنشطة التجارية والمالية²⁸. ولكن هذا الاحتياطي من الصرف الأجنبي يصبح فعالًا حين الاستفادة منه في المشاريع الاستثمارية الانتاجية والحيوية وتاليًا توظيف الاحتياطي المالي في تنويع مصادر الداخل

²³ محمد بن سلمان: نستطيع أن نعيش في 2020 دون نفط، صحيفة مكة، 26 أبريل 2016، الرابط: <https://rb.gy/qokph1>

²⁴ وقد حذف موقع (العربية) هذا المقطع، ولكن بقي في أرشيف موقع يوتيوب:

<https://www.youtube.com/watch?v=VJllo8X6450>

²⁵ أ. د منال محمد عفان، هل الاحتياطي الاجنبي المتراكم يحفز النمو الاقتصادي ؟ دليل من المملكة العربية السعودية في الأجل الطويل،

مجلة جامعة الاسكندرية للعلوم الإدارية، المجلد 58، العدد الأول - يناير 2021 ص 475

²⁶ مباشر السعودية، 7 يناير 2024، الرابط: <https://shorturl.at/fhyX8>

²⁷ Official Foreign Reserves(February 2024), Bank of Korea, 6 March 2024; <https://shorturl.at/cQW58>

²⁸ د. منال محمد عفان، المصدر السابق، ص 476

وتوسيع آفاق النشاط الاقتصادي ونسج علاقات اقتصادية وتجارية مع طيف واسع من الاقتصاديات المنتجة في العالم.

رؤية 2030 والتنوع الاقتصادي

أطلقت المملكة السعودية استراتيجية طموحة للتنوع الاقتصادي باسم رؤية 2030. وتم الإعلان عنها في إبريل عام 2016 بهدف تحقيق نمو مستدام من خلال تقليل الاعتماد على عائدات النفط. وفيما يلي الركائز الأساسية لخطة التنوع الاقتصادي في المملكة السعودية:

السياحة: والتركيز على السياحة الترفيهية بدرجة أساسية والسياحة الطبيعية بدرجة ثانوية، والتوجّه نحو الترفيه في بعده التسلوي (الحفلات الغنائية والسباقات بأنواعها والمباريات الرياضية)، وبناء مدن ترفيهية على غرار دبي، أو ما يعرف بمشاريع الجيجا وتشمل:

- نيوم: وهي مدينة سياحية على ساحل البحر الأحمر وتصور على أنها مدينة المستقبل، كونها تركز على الابتكارات التكنولوجية المتطورة. ومشروع نيوم جزء من رؤية 2030، ويفترض أنه جزء من خطة تنوع مصادر الدخل وتقليل الاعتماد على إيرادات النفط. ويمتد المشروع على مساحة تزيد عن 26.500 كيلومتر مربع، أي ما يقارب من مساحة فلسطين المحتلة كاملة (البالغ مساحتها 27027 كيلومترا مربعا)، وبكلفة أولية قدرت بنحو 500 مليار دولار يتم تمويلها بشكل كامل من قبل صندوق الاستثمارات العامة، ويأمل المشروع في جذب استثمارات أجنبية.

وتشمل نيوم مشاريع رئيسة من بينها:

الخط: (The Line) وهي مدينة خطية بطول 170 كيلومترا، تستوعب من الناحية النظرية تسعة ملايين نسمة، على أن تكون مدينة مستدامة وخالية من الكربون. ومنذ الاعلان عن مشروع ذي لاين، وهو موضع ارتياح متعاضم من

قبل المهندسين وخبراء البيئة، على قاعدة عمرانية وبيئية إذ كيف يمكن أن يكون مثل هذا المشروع الضخم مستدامًا في الوقت الذي ينتج بناؤه أكثر من 1.8 مليار طن من ثاني أكسيد الكربون²⁹.

ولأن جنون العظمة رفيق دائم للمغامرات الطائشة، فإن الحسابات غير الواقعية تنذر بعواقب كارثية. على سبيل المثال، تقوم خطة ولي العهد محمد بن سلمان في مدينة ذي لابين على استيعاب 9 ملايين فرد غالبيتهم من الأجانب، في الوقت الذي يعمل على تحويل الرياض، العاصمة، الى مدينة مكتظة بالسكان لتصل الى 20 مليون نسمة، بدعوى أن اقتصاديات العالم قائمة على المدن، وعليه لا بد من تنمية المدن³⁰. وعلى الرغم من أن مدينة الرياض ليست جاذبة للسكان، وتفتقر الى الحيوية بفعل الحرارة العالية والجفاف والازدحام، فإن تحويلها إلى مركز مالي منافس لمدينة دبي هو مجرد أحلام يقظة، وبحسب انطباعات زائرة أجنبية لمدينة الرياض فإنها مدينة بلا حياة ومصطنعة³¹. والسؤال كيف سيكدس ابن سلمان ملايين البشر فيما لا يزال كثير من ناطحات السحاب في مركز الرياض المالي فارغة.

على ما يبدو، فإن الفريق العامل تحت إدارة محمد بن سلمان يمتلك فكرة عامة عن شخصيته وحالته النفسية، ولذلك ينتقون من المعلومات التي تجعله في حالة نشوة دائمة وإخفاء ما يمكن أن يتسبب في إغضابه، أي أنهم يقولون له ما يود سماعه لا ما يجب عليه معرفته حول حقيقة المشاريع الفاشلة. وعلى الرغم من أن بؤادر الفشل المالي كانت بادية منذ البداية وبقيت حاضرة طوال السنوات الماضية، فالهاوية المالية باتت حتمية ولا يمكن تفاديها، وأنها كفيلة بأن تدفع

²⁹ Saudi's 100-mile mega-city is meant to blow our minds – so we forget the crimes of its rulers, The Guardian, 23 October 2022; <https://www.theguardian.com/commentisfree/2022/oct/23/saudi-mega-city-meant-to-blow-our-forget-crimes-of-its-rulers>

³⁰ كيف فسر الأمير محمد بن سلمان عملية زيادة نسبة سكان الرياض؟، يوتيوب، 28 إبريل 2021، الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=guNm_hfKFCE

³¹ I'm a female traveler who spent 3 weeks backpacking around Saudi Arabia - and discovered it's not for the casual vacationer. Here's where I went and what I experienced, Business Insider, March 21, 2020; <https://www.businessinsider.in/slideshows/miscellaneous/im-a-female-traveler-who-spent-3-weeks-backpacking-around-saudi-arabia-and-discovered-its-not-for-the-casual-vacationer-heres-where-i-went-and-what-i-experienced-/slidelist/74751515.cms#slideid=74751540>

البلاد نحو عدم الاستقرار، لأن البديل عن الفشل هو القمع لاحتواء السخط الشعبي، إذ ترجح احتمالات انزلاق البلاد نحو موجة غير مسبوقه من الاستبداد من أجل درء تحميله مسؤولية فشل رؤيته الاقتصادية وتداعياتها على الواقع المعيشي للسكان.

- أوكساغون (Oxagon) وهي نظرياً مدينة تطفو على الماء على امتداد 7 كيلومترات، على أن تكون أكبر هيكل عائِم في العالم.

وبحسب تعريف وزير الصناعة والثروة المعدنية ابراهيم الخريف لمشروع اوكساغون بصفتها جزءاً من مدينة نيوم، التي قال عنها بأنها "المدينة الحاملة"، وأنها ستكون مصدر إلهام للعالم، و"تعمل بالطاقة النظيفة بشكل كامل"، فإن هناك تعويلاً على المدينة بجعل السعودية "في مقدمة السابق بالقطاع الصناعي" محلياً وعالمياً على أساس الموقع الحيوي الجغرافي والاستراتيجي للمملكة حيث يشكل ممر البحر الأحمر ما يزيد على 13 بالمئة من التجارة العالمية. وتحدث الخريف عن "إقبال الشركات للعمل والاستثمار في أوكساغون" وعدّ ذلك دلالة على "أن المدينة استطاعت أن تجذب اهتمام شركات عالمية خصة في قطاع الطاقة المتجددة"³².

وكما في مشاريع أخرى، يمثل مشروع أوكساغون حافزاً على النمو الاقتصادي والتنوع في مصادر الدخل. ونظرياً، وبحسب محمد بن سلمان فإن أوكساغون سوف يساهم في إعادة تحديد مفهوم التنمية الصناعية في المستقبل، وحماية البيئة مع خلق فرص العمل والنمو لنيوم. وبحسب نظمي النصر، الرئيس التنفيذي لشركة نيوم فإن أوكساغون ستؤدي إلى تغيير في كيفية رؤية الناس لمراكز التصنيع. وأشار النصر إلى أن أوكساغون هو "ميناء متكامل ومركز لوجستي سيأوي غالبية سكان المدينة المتوقعين"، وهو "سلسلة توريد متكاملة وذكية وفعالة" أصبح ممكناً بفضل "اعتماد التكنولوجيات الأكثر تقدماً مثل إنترنت الأشياء (IoT)، والاندماج بين الإنسان والآلة، والذكاء الاصطناعي والتنبؤي،

³² السعودية.. أرقام قياسية للمشاركة الممولة بالقطاع الصناعي، عربية Sky News، 22 نوفمبر 2021، الرابط: <https://rb.gy/zs3pab>

الروبوتات، وكلها مقترنة بشبكة من مراكز التوزيع المؤتمتة بالكامل وأصول التسليم المستقلة في الميل الأخير. وسوف يركز مشروع أوكساجون، مثل مشروع نيوم، على التكنولوجيا المتقدمة مثل الفضاء والروبوتات، وعلى أشياء أخرى مثل التنقل المستقل وما تسميه الشركة ابتكار المياه. وسوف يتم التركيز على الطاقة المتجددة في المشروع بنسبة 100%³³. ولكن وبخلاف ما أشيع عن تقديم شركات مثل أوراكل وهواوي التزامات بالانخراط في المشروع، فإن صعوبات كبيرة تواجه المشروع، منذ الإعلان عن رؤية السعودية 2030 في إبريل 2016، والتي كانت تهدف إلى زيادة الاستثمار الأجنبي المباشر السنوي إلى ما يقرب من 19 مليار دولار بحلول عام 2020 من 8 مليارات دولار في عام 2015، لكن في عام 2020 لم يتجاوز 5.5 مليار دولار. وكان الهدف الأطول أجلا هو أن يصل الاستثمار الأجنبي المباشر إلى 5.7 بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول 2030، رغم أن الرياض لم تحدد هدفا محددًا بالدولار. وقد رفعت السعودية المخاطر مرة أخرى، قائلة إنها تريد 100 مليار دولار من الاستثمار الأجنبي المباشر السنوي بحلول عام 2030، وهو هدف جديد يعتبره العديد من المحللين مفرطاً في الطموح³⁴.

وكما ينبىء المقطع التسويقي، فإن مشروع أوكساجون يفترض استقطاب ألمع العقول في العالم لتوظيف آخر ما توصل إليه علم الرياضيات من معادلات والتكنولوجيا من ابتكارات وتحويل الخيال العلمي إلى حقائق معاشة، مع أن أجزاء من الترويج الاعلاني للمشروع تبعث على الحيرة ولماذا مدينة ذات ثمانية جوانب نصفها على اليابسة ونصفها يطفو على الماء.

³³ Irina Slav, Saudi Crown Prince Unveils Net-Zero Industrial Hub In Smart-City Neom, Nov 18, 2021;

<https://rb.gy/xryptk>

³⁴ Insight: Saudi Arabia's race to attract investment dogged by scepticism, Reuters, November 16, 2021;

<https://www.reuters.com/business/energy/saudi-arabias-race-attract-investment-dogged-by-scepticism-2021-11-16/>

وهذه ليست المرة الأولى التي تطلق فيها المملكة العربية السعودية مشروعًا طموحًا مليئًا بالتفوق والأول من نوعه في العالم.

أطلق محمد بن سلمان هذا الأسبوع "أول مدينة غير ربحية في العالم"، والتي أطلق عليها اسمه. وفي وقت سابق من هذا العام، أعلن أيضًا عن خطة لبناء مدينة خالية من الكربون على خط مستقيم بطول 170 كيلومترًا، كأول بناء رئيسي لمشروع نيوم.

وكشفت الوثائق سابقًا أن المدينة الضخمة ستحتوي على سيارات أجرة طائرة وروبوتات قتالية وديناصورات متحركة.

ناشط يثير الشكوك

وبينما يكشف ولي العهد باستمرار عن مشاريع مستقبلية ومتطورة بشكل متزايد، يبقى أن نرى ما إذا كان أي من هذه الطموحات الكبرى سيؤتي ثماره.

في شهر مايو، زعم تقرير لصحيفة وول ستريت جورنال أنه كان هناك نزوح جماعي لموظفي نيوم، الذين يكافحون في ظل الحجم الهائل للأفكار.

يُزعم أن محمد بن سلمان في المملكة العربية السعودية يستحضر الفراغنة مع
تزايد أحلامه في نيوم
اقرأ أكثر "

عرض المخططون الحضريون على ولي العهد خطة أبسط لمدينة خالية من
الكربون، لكن ورد أن الزعيم الفعلي رد قائلاً: "أريد بناء أهراماتي".

وقالت الناشطة السعودية المقيمة في لندن علياء الحويطي للشرق الأوسط:
"أوكساجون، مثل كل المشاريع السابقة، مثل The Line، لن يحدث أبداً. يفشل
بن سلمان في مشروع، ثم يبدأ آخر لتغطية جرائمه وإخفاقاته". عين.

الحويطي هو عضو منشق عن قبيلة الحويطات، الذين عاشوا في منطقة تبوك
بالمملكة العربية السعودية لعدة قرون ولكن يتم طردهم الآن من منازلهم لإفساح
المجال أمام المدينة الضخمة.

وفي العام الماضي، قُتل الناشط القبلي عبد الرحيم الحويطي بالرصاص بعد وقت
قصير من تسجيله مقاطع فيديو احتجاجاً على إخلائه، مما أثار غضب نشطاء
حقوق الإنسان.

وتساءل "كيف يمكن لمحمد بن سلمان أن يتظاهر بأنه يهتم بخفض الكربون عندما لا يهتم بشعبه؟ كيف يمكنهم قتل عبد الرحيم ويقولون إنهم يهتمون بالبيئة؟" قال الحويطي.

وقد أثار مشروع أوكساجون سخرية بعض الناشطين والمراقبين، الذين نظروا الى هذه المشاريع بأنها مصدر ربح لشركات استشارية تروج لهكذا أفكار مستحيلة، فيما قال كريستيان هندرسون، الأكاديمي المختص بشؤون الشرق الأوسط: "لماذا أعمل في الجامعة بينما يمكن أن أقضي أيامي في تصميم مدن خيالية لولي العهد السعودي". الشكوك حول إمكانية تحقق المشروع ارتبطت بالغموض المحيط بتفاصيل المشروع، ويشمل كلفة بنائه، والتشكيك في إمكانية جعل المدينة تطفو على سطح الماء، وكذلك العائد المالي غير المحسوب بدقة، علاوة على الجدوى الاقتصادية من أصل المشروع³⁵.

- **تروجينا (Trojena)** ويراد له أن يكون منتج تزلج في جبال سروات قرب شمال منطقة نيوم. وهذا أيضاً من المشاريع الحاملة التي يراد لها أن تنشأ في تضاد مع قوانين الطبيعة.

إن معاندة الطبيعة ليس وحده عنصر الفشل في مشروع نيوم، فهناك عوامل أخرى تجعل من تحقيق الحلم مستحيلًا. اعتقاد ابن سلمان أن المال قادر على قهر الطبيعة وقوانين الاجتماع والاقتصاد والسياحة في العالم، هو ما يدفعه لأن يحجز لنفسه مكاناً في كل نشاط سياحي ورياضي وعمراني وتكنولوجي. فقد قرر استضافة دورة الألعاب الآسيوية الشتوية لعام 2029، واختار منتج

³⁵ Saudi Arabia to build eight-sided city that floats on water, Middle East Eye, 17 November 2021; <https://www.middleeasteye.net/news/saudi-arabia-oxagon-city-floating-water-neom>

Trojena الذي لم يتم بناؤه بعد. يشكك الكثيرون في جدوى مشاريع نيوم، بسبب التعثر والتأخير المتكرر، والنزوح الجماعي للموظفين³⁶. منتج التزلج، أي تروجينا، والمقرر افتتاحه في عام 2027، ينطبق عليه ما ينطبق على مشروع نيوم واكساجون المثير للجدل، فيما يخطط ابن سلمان لجعله أول منتج تزلج خارجي في الخليج³⁷.

سيندالة (Sindalah) وهو منتج جزيرة في البحر الأحمر مخصص لليخوت.

- القدية: وهي منطقة ترفيهية بالقرب من العاصمة الرياض، ومصممة لجذب السياح وتشجيع السياحة المحلية. وقد أعلن في 22 مارس 2024 عن مشروع ترفيهي جديد في القدية حيث تخطط إحدى شركات صندوق الاستثمارات العامة لبناء أول منتزه ترفيهي "دراغون بول" في العالم، في أحدث خطوة لتنويع الاقتصاد بعيداً عن النفط، والمنتزه مستوحى من سلسلة الرسوم المتحركة اليابانية (Dragon Ball) على مساحة 500 ألف متر مربع بالقرب من الرياض³⁸.

- مشروع البحر الأحمر: وهو أيضاً مشروع سياحي على طول ساحل البحر الأحمر ويضم منتجعات سكنية وفندقية وأنشطة ترفيهية.

نيوم..درة تاج الرؤية!

³⁶ Neom: Yet-to-be-built Saudi resort chosen to host 2029 Asian Winter Games, Middle East Eye, 4 October 2022;

<https://www.middleeasteye.net/news/neom-saudi-arabia-asian-winter-games-resort-host-trojena>

³⁷ Asian Winter Games to be held in Trojena, Saudi Arabia in 2029, October 4, 2022;

<https://www.bbc.co.uk/sport/winter-sports/63131479>

³⁸ 'Dragon Ball' Goes to the Desert With Saudi Arabian Theme Park, Bloomberg UK, March 22, 2024;

<https://tinyurl.com/4n5zawvj>

يمكن اعتماد تجربة نيوم كدالة على نهج السعودية في التنوّع الاقتصادي، ويمثل، من الناحية النظرية، تحوُّلاً حقيقياً نحو اقتصاد حديث ونتاجي، ويعالج بصورة مباشرة مشكلة الأحادية الاقتصادية.

وفيما كانت آلة الدعاية السعودية تبشّر بتحفة عمرانية وتكنولوجية وسياحية فريدة، كانت قراءات الخبراء والمختصين تحذّر من هاوية مالية وعمرانية وفشل اقتصادي. وكانت وكالة بلومبرغ قد حصلت على معلومات سرية تشير إلى أن ولي العهد محمد بن سلمان طلب مساعدة شركة Lazard الأمريكية للأستشارات المالية لدراسة خيارات دفع تكاليف مشروع نيوم، بما في ذلك مبيعات الديون، والطرح العام الأولي المحتمل في البورصة السعودية³⁹.

كان نزوع ابن سلمان نحو التباهي بالمشروع ينذر بنتائج غير مريحة لصانع القرار والقائمين على المشروع على حد سواء. إن الإصرار على المضي في المشروع دون إعارة أي اهتمام للجدوى أو الأثمان الباهظة الواجب تسديدها، يقود الاقتصاد الوطني الى مجهول.

أغدقت ملايين الدولارات على الموظفين الأجانب في نيوم، فكان متوسط الراتب الأساسي لكل مدير تنفيذي في المستويات العليا 1.1 مليون دولار، وقد يصل إجمالي دخل الواحد منهم إلى ملايين الدولارات بإضافة المكافآت والحوافز الأخرى⁴⁰. ولكن في التقييم الإجمالي، وبعد مرور سبع سنوات على مشروع نيوم لا يزال التعثر يلوح في الأفق، لأسباب مالية وبيئية وعمرانية وتكنولوجية، ونتذكر هنا انطباعات موظفين سابقين عملوا في مشروع نيوم بأن من غير الممكن التعامل معه سوى كونه من نسج عالم الخيال العلمي. فهذا المشروع ليس سوى سراب في الصحراء. ويصف خبراء الهندسة المعمارية ابن سلمان بأنه مصاب بجنون العظمة، وأن ثمة انتقادات من داخل الدوائر المقربة من القصر

³⁹ Saudi Arabia Working With Lazard to Fund Mega Neom Project, Bloomberg, November 9, 2022; <https://www.bloomberg.com/news/articles/2022-11-09/saudi-arabia-said-to-work-with-lazard-to-fund-mega-neom-project?embedded-checkout=true>

⁴⁰ Saudi Arabia Lures Executives to Neom With Million-Dollar Salaries, Zero Taxes, Wall Street Journal, October 11, 2022; <https://www.wsj.com/articles/saudi-arabia-lures-executives-to-neom-with-million-dollar-salaries-zero-taxes-11665475886>

لأفكاره المجنونة، والمتغيّرة باستمرار و"تقلبات المزاج" و"العصبية الفارطة" والتهويل ضد المخالفين له. كمية المال الهائلة التي يقدحها ابن سلمان على مشاريعه غير الواقعية هي مجرد مغامرات غير محسوبة، وقد تؤدي إلى إفلاس البلاد وإنضاب الثروة الوطنية. وفي الوقت نفسه، يشكل مشروع نيوم الثقب الأسود الذي تختفي فيه مليارات الدولارات مع إطلاق سحابة من الأوهام حول مشاريع هي أقرب إلى قصور من رمال على شاطئ البحر. فالإنفاق غير المنضبط على مشاريع خيالية تعكس شخصية ابن سلمان في تحقيق ما حرم منه وما عاناه من تحقير وسط أبناء عمومته، فهو اليوم يمسك بحصيلة عقود من مداخيل النفط وباتت خزينة الدولة تحت تصرّفه من دون سلطة رقابية أو حتى إشرافية. ولا غرابة في تشبيه مشروع نيوم بمشاريع المستبدين والطغاة عبر التاريخ، وأن دافع ابن سلمان في مشاريع نيوم ليس التنمية المستدامة، وإنما هو تأثير هذيان "الأهرامات" في مصر، كحالة نفسية تعترى المستبدين ونسخ تجربة فرعون مصر وكانت آخر أحلامه وسبب هلاكه.

وتذكّر مجلة (MoneyWeek) البريطانية ابن سلمان، المدفوع بغطرسة نحو بناء "الأهرامات الخاصة به"، على رغم العيوب الجوهرية فيها أن يستلخص العبرة من من سقوط مشروع مدينة Evergrande في الصين. وتنصح المجلة ابن سلمان بتلبية احتياجات السكان العاجلة بدلاً من بناء مدن وجلب سكان إليها، لأن البلاد تستفيد من شبكات المترو داخل المدن وممرات السكك الحديدية بين المدن أكثر بكثير مما تستفيد من حماقة كبيرة على البحر الأحمر. ولفتت المجلة إلى فرار الكثير من المهندسين والمعماريين والمدراء التنفيذيين، والمخططين الحضريين من مشروع نيوم، بسبب ثقافة الإدارة الوحشية⁴¹.

ثمة تجارب سابقة في بناء المدن، ففي عام 2005 تم الإعلان عن خطط لبناء ست مدن جديدة، لكن تم بناء واحدة فقط، وهي مدينة الملك عبد الله الاقتصادية في محافظة مكة وتبعد 100 كم عن مدينة جدة، بكلفة تقديرية للمرحلة الأولى

⁴¹ Neom megacity: Saudi Arabia's vision of the future, MoneyWeek, 26 Aug, 2022;

<https://moneyweek.com/economy/global-economy/605268/neom-megacity-saudi-arabias-vision-of-the-future>

بنحو 30 مليار دولار وبكلفة اجمالية تصل إلى 100 مليار دولار مع استكمال مراحلها النهائية بحلول العام 2035⁴². ومع ذلك فقد فشلت في أن تؤتي ثمارها، وقد غيرت الشركة المسؤولة عن بناء المدينة خططها أكثر من أربع مرات، وبعد مرور عشر سنوات على الاعلان عنها، أي في عام 2015 لم ينفذ سوى 15% من المشروع⁴³. ويستحوذ صندوق الاستثمارات العامة على 25% من أسهم المدينة المدرجة على بورصة تداول منذ العام 2006⁴⁴.

كان الهدف من المدينة استيعاب مليوني نسمة بحلول العام 2030، في سياق نقل المجتمع إلى المدنية الحديثة بمواصفات جديدة ومتطورة تواكب العصر. ولكن هذا الهدف لا يزال بعيداً، ففي عام 2018 كان عدد سكان المدينة لم يتجاوز 7000 شخص⁴⁵. وفي عام 2023 قدر عدد سكان المدينة بأقل من 10 آلاف نسمة فقط⁴⁶. وعلى الرغم من الحوافز التشجيعية على الاستثمار والسكن في المدينة، فإنها بقيت كما يصفها أحمد العمران في صحيفة فايننشال تايمز) "هادئة وفارغة بشكل مخيف"، ونقل عن مستشار حكومي سابق شكوكه في جدوى مشروع مدينة الملك عبد الله الاقتصادية، فلو كانت المدينة قابلة للحياة لكانت قد انطلقت منذ وقت طويل. وقال "لقد كان تسويقهم مذهلاً، لكن المفهوم الكامن وراءه كان معيياً"، وربط الفشل بغياب القاعدة الاقتصادية⁴⁷.

كانت المدينة التي تختصر بكلمة (كيك) باختصارها باللغة الانجليزية (King Abdullah Economic City) بمنزلة الحافز لأحلام ابن سلمان في تجاوز الواقع بمسافة فلكية حين أقدم على مشروع نيوم بكلفة مالية خيالية تتجاوز

⁴² The city springing up in the DESERT: New pictures of Saudi Arabia's £67billion project that will house two million people by 2035, Daily Mail, 23 May 2015; <https://www.dailymail.co.uk/news/article-3094052/The-city-springing-DESERT-New-pictures-67billion-project-house-two-million-people-Saudi-Arabia-2035.html>

⁴³ Saudi Arabia's new desert megacity, BBC, 20 March 2015; <https://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-31867727>

⁴⁴ <https://www.kaec.net/about-ar/?lang=ar>

⁴⁵ Saudi Arabia's sleepy city offers prince a cautionary tale, Financial Times, May 27, 2018; <https://www.ft.com/content/ae48574c-58e6-11e8-bdb7-f6677d2e1ce8>

⁴⁶ https://en.wikivoyage.org/wiki/King_Abdullah_Economic_City

⁴⁷ Saudi Arabia's sleepy city offers prince a cautionary tale, op.cit.

تريليون دولار. تجدر الإشارة إلى أن كل هذه المشاريع تفترض نظرياً أنها مصممة لتنويع القاعدة الاقتصادية والتحرر من ربة النفط كمصدر دخل للبلاد.

وكما هو حال مدينة الملك عبد الله الاقتصادية، فإن مبالغ طائلة جرى تخصيصها للانفاق على مشروع نيوم، ولكن لم يتم بناء سوى قليل من المباني، ويشير المسار الفوضوي في إدارة المشروع إلى أن حلم ابن سلمان قد ينقلب كابوساً.

ومنذ إطلاق مشروع نيوم أصبح العجز المالي صفة ملازمة للموازنة السنوية، وبحسب الخبراء فإن بناء نيوم يتطلب أموالاً ليست بحوزة السعودية، ولذلك لجأت الحكومة إلى الاقتراض من الخارج لتمويل المراحل الأولى من مشروع نيوم، يضاف إلى ذلك اعتماد المشروع على مستشارين أجانب وهذا في ذاته تحد عميق آخر، حيث تفتقر الحكومة السعودية تاريخياً إلى الخبرة في التخطيط والهندسة والإدارة، وأن وثائق التخطيط لنيوم غارقة في الخيال⁴⁸. علاوة على ذلك، لن يكون المستشار الأجنبي أحرص من نظيره المحلي على نجاح المشروع، فهو يجني أموالاً طائلة لقاء الخدمات الاستشارية التي يقدمها، وإن كان نجاحه يزيد في أرباحه بالتأكيد.

الشهية المفتوحة نحو الاستثمار غير المخطط له مثل حبوب الهلوسة، فلا شيء يحد من هذا الجنون، كما في مشروع تطوير عقاري بقيمة 48 مليار دولار ببناء مكعب طوله ربع ميل شمال الرياض ويعرف باسم (المربع الجديد)، ليكون مركزاً لوسط الرياض (داون تاون)، (يضم وحدات سكنية، ومسارح، وأسواق تجارية، وعمارات مكتبية). ومن المقرر بدء العمل في المشروع سنة 2025 والانتهاؤ منه بحلول عام 2030. وقد أثار المشروع انتقادات واسعة في الداخل

⁴⁸ Prince's \$500 Billion Desert Dream: Flying Cars, Robot Dinosaurs and a Giant Artificial Moon, WSJ, July 25, 2019;

<https://www.wsj.com/articles/a-princes-500-billion-desert-dream-flying-cars-robot-dinosaurs-and-a-giant-artificial-moon-11564097568>

والخارج كونه تحوّل الى ما يشبه "الكعبة الجديدة" لشبه بين المشروع والكعبة في المسجد الحرام، دع عنك الشكوك المحيطة بالجدوى الاقتصادية⁴⁹.

يضاف الى ذلك تأسيس شركة طيران عالمية لمنافسة عمالقة الطيران، ويأتي ذلك بعد قرار استحواذ صندوق الاستثمارات العامة على الخطوط الجوية السعودية منذ مارس 2024. وعلى الرغم من تصريحات المسؤولين السعوديين بأن الهدف من الاستحواذ هو تحسين الأداء وزيادة الربحية، فإن المعلومات المسرّبة حول خطة الصندوق تفيد عكس ذلك وأن الهدف هو تخفيض الخطوط الجوية السعودية الى ناقل جوي لرحلات الحج والعمرة فقط، فيما تتاح فرصة أمام "طيران الرياض" للهيمنة على الرحلات الدولية، وهذا من شأنه زيادة ثروة ابن سلمان ونفوذه الاقتصادي والسياسي⁵⁰.

لناحية الاستثمارات الخارجية، أثارت خطة إدماج رابطة لاعبي الجولف المحترفين في كيان دولي تحت إدارة صندوق الاستثمارات العامة خللاً حاداً، وسط مباحثات انطلقت في يونيو 2023. وكان صندوق الاستثمارات العامة قد لجأ الى لعبته المفضلة للفوز بالصفقة بأن "أغرى بالمال" نجوم اللعبة لتسهيل المقايضة وقد أحدث انقساماً حاداً داخل الرابطة⁵¹. والشراكة الجديدة التي عنوانها (LIV) يشارك فيها الرئيس الاميركي دونالد ترمب وابنه اريك وصهره جاريد كوشنر، إضافة إلى نجوم لعبة الجولف⁵².

يضاف الى ذلك، قامت السعودية في فبراير 2024 بتعيين مسؤول تنفيذي سابق في شركة Dell Technologies لقيادة شركة استثمارية جديدة مدعومة برأس

⁴⁹ المربع الجديد في داوون تاون الرياض: انتقادات لمحمد بن سلمان بعد إطلاقه مشروعاً "يشبه الكعبة"، عربي BBC NEWS، 17 فبراير 2023، الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/trending-64681721>
⁵⁰ صندوق الاستثمارات العامة يدرس الاستحواذ على الخطوط السعودية، عربية sky news، 14 مارس 2024، الرابط: <https://shorturl.at/yjO13>

⁵¹ What Is LIV Golf? It Depends Whom You Ask, New York Times, May 22, 2023; <https://www.nytimes.com/article/liv-golf-saudi-arabia-pga.html>

See also: Saudi Money Split Golf. Then Came Debate Over a Formula, New York Times, April 4, 2023; <https://shorturl.at/kPY14>

⁵² The World of LIV Golf, New York Times, April 5, 2023;

<https://www.nytimes.com/interactive/2023/04/05/sports/golf/liv-golf-trump-mohammed-bin-salman.html>

مال قدره 100 مليار دولار من صندوق الاستثمارات العامة، تم إنشاؤه لضخ الأموال في التكنولوجيا والرقائق والالكترونيات⁵³.

وقد أعلن صندوق الاستثمارات العامة عن تأسيس شركة استثمار جديدة باسم Alat (آلات)، وتشتمل على أربع شركات مع شركات تكنولوجيا عالمية ذات الوزن الثقيل، وتشمل مجموعة SoftBank وشركة Dahua Technology الصينية لتصنيع معدات المراقبة. والهدف المعلن هو تأسيس مركز تصنيع مستدام عالمي المستوى في المملكة السعودية. وشملت الموجة الأولى من الاستثمارات صفقات مع شركة Carrier Corporation وTahakom. وفي بيان لشركة آلات ورد أنها ستعمل على "تقديم تصنيع مستدام لمساعدة هذه الشركات العالمية على تقليل انبعاثاتها والتحرك نحو التصنيع الخالي من الكربون". وفي تصريح للرئيس التنفيذي العالمي لشركة آلات أميت ميذا: "سنعيد تعريف التصنيع المستدام". وأن مهمة الشركة سوف تركز على "تسخير الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والطاقة الهيدروجينية الخضراء النظيفة في المملكة. نحن نستخدم التكنولوجيا بشغف لتحويل الشركات، والاستفادة من تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي المتطورة وتقنيات الثورة الصناعية الرابعة في التصنيع". وتشمل الاتفاقيات تصنيع الروبوتات الصناعية. وفي اعلان الشركة خلال حفل اطلاقها في الرياض أن آلات ستثمر 100 مليار دولار لتعزيز القدرات التقنية في المملكة بحلول عام 2030⁵⁴. وتراهن الحكومة السعودية على استجابة شركات التكنولوجيا العالية والمتطورة لمتطلبات مشاريع لا تزال قيد الخيال، وسوف يبقى السؤال قائماً حول ما اذا كانت هذه المشاريع ستعتمد،

⁵³ Saudi Arabia Taps Former Dell Executive to Run \$100 Billion Firm, Bloomberg, February 6, 2024; <https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-02-06/saudi-arabia-taps-former-dell-executive-to-run-100-billion-firm?embedded-checkout=true>

⁵⁴ New Saudi investment firm teams up with SoftBank and Chinese Dahua Technology, Euronews. business, 22 Feb, 2024; <https://www.euronews.com/business/2024/02/22/new-saudi-investment-firm-teams-up-with-softbank-and-chinese-dahua-technology>

فعلياً، على طاقة خالية من الكربون في بلد لا يزال متأخرًا في مجال إنتاج الطاقة النظيفة والبديلة.

التمويل: الأفيون الجديد

لا فرصة استثمارية ممكنة من دون رأسمال، ولا بد من استنفار شامل للعثور على مصادر تمويل للمشاريع أينما كانت وبأي وسيلة ممكنة. وقد أدمن فريق العمل السعودي برئاسة محمد بن سلمان على الانفاق وتحصيل الأموال لدفع تكاليف خطط الإنفاق المبهرجة، وحتى البقرة المقدسة "أرامكو" باتت من بين الأصول التي ينوي ابن سلمان عرضها للبيع لتسديد أثمان مشاريعه الخيالية⁵⁵. فأزمة التمويل تدفع السعودية الى بيع أسهم من ارامكو، وقد نصحو ذات يوم وقد أصبحت شركة غير وطنية، أو دخلت في حيازة صندوق الاستثمارات العامة لاستعمالها مصدرًا لتمويل المشاريع المتعثرة، وفي طليعتها مشروع نيوم بكلفته القياسية.

وبعد استحواذ صندوق الاستثمارات العامة على 16% من أرامكو، بقيمة تقدّر بنحو 333 مليار دولار، على أمل تحقيق أرباح سنوية بقيمة 20 مليار دولار، فإن من المقدّر تحصيل نحو 5 مليارات دولار من توزيعات أرباح أرامكو كل 3 أشهر، وتاليًا استخدام هذه الأرباح في زيادة الانفاق على مشاريع نيوم والمشاريع الرياضية في السنوات القليلة القادمة⁵⁶.

⁵⁵ Saudi Arabia's Megaprojects Are Draining Its Cash Reserves, WSJ, 21 Feb, 2024; <https://www.wsj.com/podcasts/google-news-update/saudi-arabias-megaprojects-are-draining-its-cash-reserves/783C1D61-D794-4EFD-B69A-64A382700678>

⁵⁶ Saudi Wealth Fund Eyes \$20 Billion Windfall from Aramco Dividend, Bloomberg, March 10, 2024; <https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-03-10/aramco-dividend-hike-hands-pif-5-billion-quarterly-windfall?embedded-checkout=true>

وقد أعلن في يناير 2024، عن خطة سعودية لبيع أسهم من أرامكو بقيمة 10 مليارات دولار، في صفقة تستهدف تحصيل الأموال اللازمة لزيادة الانفاق على مشاريع نيوم والسياحة والرياضة وغيرها من المشاريع⁵⁷. مع لفت الانتباه إلى أن أسهم أرامكو تراجع بنسبة 2.2% في أكبر انخفاض لها منذ 15 مارس 2023. ولم يصدر عن أرامكو ما يوضح وجهة أموال بيع حصصها، ولكن التقديرات الراجحة تفيد بأنها سوف تجد طريقها إلى الحكومة، لتساعد جزئيًا في تمويل عجز الميزانية، والذي يبلغ حوالي 4.3% من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2024، حيث تحتاج إلى أكثر من 46 مليار دولار لتغطية متطلبات التمويل⁵⁸.

ومن الواضح، في ضوء ما سبق، أن صندوق الاستثمارات العامة في سباق مع الزمن بعد أن وضع لنفسه هدفًا عاليًا بأن يصبح الصندوق الاستثماري برأس مال تريليون دولار بحلول عام 2025، ومن أجل بلوغ الهدف كان عليه أن يجمع أكبر قدر من المال، ولذلك قام محمد بن سلمان بتحويل حصة من أرامكو بقيمة 164 مليار دولار إلى الصندوق، وبذلك يكون قد أصبح ثاني أكبر صندوق في الشرق الأوسط بعد جهاز أبو ظبي للاستثمار الذي يدير 999 مليار دولار وهيئة الاستثمار الكويتية التي تدير 800 مليار دولار من الأموال الحكومية⁵⁹.

تتنافس الصناديق السيادية الخليجية على اقتناص فرص استثمارية ذات العائدات المرتفعة، وتالياً تنوع مصادر الدخل بعد أن باتت من الصعوبة بمكان التمويل على النفط كمادة عرضة للنضب. وقد أطلق محمد بن سلمان 47 مشروعًا ضمن خطط الاستثمار التي يديرها صندوق الاستثمارات العامة بهدف خلق اقتصاد

⁵⁷ Saudi Arabia Eyes Reviving Multibillion Dollar Aramco Share Sale, Bloomberg, January 31, 2024;

<https://tinyurl.com/57eschrn>

⁵⁸ Saudi Aramco Drops Expansion Plan, Raising Demand Questions, Bloomberg, January 30, 2024;

<https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-01-30/aramco-ordered-not-to-raise-oil-production-capacity-further?embedded-checkout=true>

⁵⁹ بأصول تقارب تريليون دولار.. "أبوظبي للاستثمار" يتصدر صناديق الثروة السيادية الخليجية، العين الاخبارية، 1 يناير 2023،
الرابط: <https://al-ain.com/article/abu-dhabi-investment-gulf-sovereign-wealth-funds>

متنوع ومواكب للزمن، ويرتكز على الذكاء الاصطناعي والطاقة النظيفة والرياضة والسياحة.

استثمارات الصندوق في الشركات الأجنبية تشمل شركة أوبر، وشركة صناعة السيارات الكهربائية لوسيد، وشركة ألعاب الفيديو أكتيفيجن بليزارد، والاستحواد على نادي نيو كاسل لكرة القدم، وضخ مليارات الدولارات على الرياضة، وخاصة كرة القدم، والفورمولا 1، والجولف، والتنس. ويطمح محمد بن سلمان وفريقه للفوز بالرهان لاستضافة كأس العالم لكرة القدم في عام 2034. وتشكل الاستثمارات المحلية ما نسبته 77 في المائة من محفظة صندوق الاستثمارات العامة، حيث تستهلك مشاريع مدينة نيوم الحصة الأكبر من استثمارات الصندوق. ويطمح محمد بن سلمان إلى تحقيق حلم تحويل الرياض إلى "بوابة العالم"، كما أعلن عن ذلك في الثامن والعشرين من نوفمبر 2022، بعد إطلاقه مخطط مطار الملك سلمان الدولي، وأن يكون وجهة عالمية للنقل والتجارة والسياحة، وجسرًا يربط الشرق والغرب بما يرسخ مكانة المملكة مركزًا لوجستيًا عالميًا، وأن تكون مدينة الرياض ضمن أكبر عشر اقتصادات مدن في العالم، وأن يصل عدد سكانها إلى ما يراوح 15 و20 مليون نسمة بحلول عام 2030⁶⁰. ولأن عين ابن سلمان مصوّبة على التجربة الاماراتية، فإن ما يسعى إليه هو تطوير نسخة خاصة سعودية للسياحة تكون بديلاً ومنافساً للتجارب السياحية الإقليمية بل والعالمية أيضاً، وإن تطلب ذلك انتهاك المحظورات الدينية والاجتماعية والتحرر من قيم المحافظة السائدة والراسخة على مدى قرون طويلة.

من الناحية الاقتصادية، فإن مشاريع ضخمة على هذا القدر من التعقيد تكنولوجياً ولوجستياً هي من دون ريب مكلفة، وباهظة الثمن، في ظل انخفاض المستويات النقدية بشكل غير مسبوق بفعل الانفاق غير المنضبط على مشاريع شتى من التكنولوجيا الى الرياضة في محاولة لمسابقة مرحلة ما بعد النفط. وبحسب تقرير

⁶⁰ الرياض بوابة العالم، عكاظ، 23 سبتمبر 2023، الرابط: <https://www.okaz.com.sa/news/local/2143942>

لوكالة بلومبرغ فإن مستويات الانفاق سوى تتصاعد بحلول عام 2025 حيث من المتوقع أن يصل التوزيع السنوي لرأس المال من قبل صندوق الثروة السيادية القوي إلى 70 مليار دولار سنويًا، وهذا المال غير متوفر دائمًا. وعليه، فإن الصندوق في حاجة إلى البحث عن طرق جديدة لجمع الأموال، ومن بينها اللجوء إلى بنوك وول ستريت لطرح أسهم في أرامكو لجمع نحو 20 مليار دولار⁶¹. مع التذكير بحقيقة أن الصندوق بات عاجزًا عن تمويل كثير من المشاريع، وأن مستوياته النقدية انخفضت في العام 2023 بنحو ثلاثة أرباع أي إلى حوالي 15 مليار دولار، وهو أدنى مستوى منذ سبتمبر 2020، وهو العام الذي بدأ الصندوق في نشر البيانات الخاصة بمشاريعه الاستثمارية.

إن الانفاق والاقتراض بمستويات عالية تشي بالمديات اللامحدودة لطموحات ابن سلمان، ولكنه على ما يبدو لا يكثرث للفوائد العالية التي عليه دفعها لتمويل القروض في وقت لا تزال أسعار النفط عند مستويات معتدلة أو منخفضة.

ما يخطط له ابن سلمان بتحويل السعودية إلى قوة متنوّعة اقتصاديًا لا يسير نحو الهدف المنشود. حتى الآن لا تظهر السعودية سوى كونها مستثمر جوال، يغدق الأموال على مشاريع تبدو مغرية في الإعلان وليس هناك ما يؤكد أنها ربحية في الواقع، دع عنك أن تكون هذه المشاريع تخدم مبدأ التنوع الاقتصادي، أو على صلة بالتنمية المستدامة.

رؤية 2030 المقترنة بسياسات نيوليبرالية في المجالين الاجتماعي والاقتصادي لا تزال أسيرة رهانات راديكالية يعتمدها الحاكم الفعلي محمد بن سلمان مع ما يصاحبها من بوادر فشل تكاد تكون جليّة وحتمية. وإن قيادة مجتمع متنوّع مؤلف من 32 مليون نسمة ثلثهم من الأجانب، تبدو مهمة عسيرة.

⁶¹ Saudis Tackle How to Pay for Vision 2030, Bloomberg UK, March 18, 2024;

<https://www.bloomberg.com/news/newsletters/2024-03-18/saudi-arabia-tackles-how-to-pay-for-vision-2030-uae-egypt-deal-dynamics?embedded-checkout=true>

وعلى الضد من الاعتقاد الشائع بأن الشباب في السعودية يشكّلون الأغلبية بين السكان، فإن الهيئة العامة للإحصاء ذكرت في تقريرها بمناسبة اليوم العالمي للشباب سنة 2020 بأن الشباب للفئة العمرية 15 - 34 سنة يمثلون 36.7% من إجمالي السكان السعوديين⁶². وهذا مؤشر على درجة كبيرة من الأهمية لفهم الشريحة التي يعوّل عليها ابن سلمان في إنجاح رؤيته الاقتصادية، مع إضافة التحديات التي تواجه هذه الشريحة ومن بينها نسبة البطالة المرتفعة، التي تحول دون تنميرها في إعادة انتاج الزبائنية في مرحلة ما بعد الربيعية. فالغالبية العظمى من السكّان لا تميل الى هذا النوع من المشاريع التي تهدف الى اقتلاعها من محيطها الاجتماعي والثقافي والديني، أو تغيير من عادات أسرية وتربوية جبلت عليها على مدى عقود طويلة. وعليه، فإن أعضاء الفريق الذي يدير المشاريع من الذين عاشوا في الغرب وتشرّبوا ثقافة الانفتاح والتحرر الاجتماعي، وأوكلت اليهم مهمة تحويل المجتمع عبر مشاريع اقتصادية/سياحية بطابعه الغربي.

وعليه، فإن الصلاحيات المطلقة الممنوحة لصندوق الاستثمارات العامة في إدارة المال العام يضع الثروة الوطنية عموماً أمام تحديات مصيرية. إن مهمة تنويع مصادر الدخل والتحرر من الاعتماد على النفط كمصدر وحيد للدخل تتطلب أكثر من مجرد حسابات اقتصادية، فهناك أبعاد ثقافية واجتماعية وتربوية وأخلاقية ودينية، وإن العوائد لا تزال، حتى الآن، زهيدة من مجمل الأنشطة الاستثمارية التي قام بها الصندوق.

وعلى نحو إجمالي، لا يزال الصندوق يواجه تحدياً كبيراً في مجال العائدات المرجوة من الاستثمارات، وإن ما حقّقه من عائد في حدود 8% سنوياً وهو أدنى بكثير من عوائد الأسهم الخاصة، بحسب اعتراف أحد المسؤولين التنفيذيين في الصندوق. وقد أنشأ الصندوق 93 شركة تعمل في 13 قطاعاً في السنوات الخمس الماضية، ولكن ليس هناك من بيانات واضحة حول العوائد الثابتة من استثمارات الصندوق، في الوقت الذي لا يزال مشروع نيوم بكلفته الأولية البالغة

⁶² الهيئة العامة للإحصاء تصدر تقرير "الشباب السعودي بالأرقام" بمناسبة اليوم العالمي للشباب 2020، وكالة الأنباء السعودية واس، 9 أغسطس 2020، الرابط: <https://www.spa.gov.sa/2118682>

500 مليار دولار يثير أسئلة حول توافر السيولة المالية المطلوبة لتغطية نفقات المشروع، في وقت لا يزال المستثمرون الأجانب في حال إحجام مقصود عن الإنخراط في المشروع، وبحسب مجلة الايكونوميست البريطانية: "يبدو أن المستثمرين العالميين أكثر سعادة بأخذ الأموال من السعودية بدلاً من وضع أموالهم الخاصة فيها"⁶³.

وقد يكون من سوء حظ محمد بن سلمان وفريقه أنه رسم أحلامه في منطقة غير مستقرة، فإذا كانت أخطاؤه السابقة قد أبعدت المستثمرين الأجانب، فإن المشاريع الاقتصادية والسياحية التي يحلم في إنشائها مرتبطة بمرحلة يبرم فيها اتفاقية التطبيع مع الكيان الاسرائيلي، ولكن هذا الحلم لا يزال بعيداً عن الواقع، وإن أي زعزعة أمنية يمكنها أن تبعد هذا الحلم وتؤجله لسنوات أخرى، بل وتجعل كلفة تحقيقه باهظة، وهذا ما حصل بعد قرار حكومة صنعاء التصدي للبواخر التجارية الاسرائيلية أو المتجهة نحو فلسطين المحتلة لارغام الكيان الاسرائيلي على وقف عدوانه على قطاع غزة منذ 7 أكتوبر 2023. وزاد الأمر تعقيداً بعد إطلاق الولايات المتحدة عملية عسكرية بإسم (حارس الإزدهار) بمشاركة بريطانيا وفرنسا وكندا ودول أخرى بدعوى حماية الملاحة البحرية وطرق التجارة في البحر الأحمر، ولكنها تسببت في أزمة حركة الملاحة في البحرين العرب والأحمر وامتد لاحقاً إلى المحيط الهندي. وفي أحد مؤشرات هذه الأزمة ارتفاع كلفة أسعار مواد البناء في السعودية بنسبة تتراوح بين 25-50% وتأثرت تبعاً لذلك عمليات توريد مواد البناء إلى المشاريع العملاقة، بما في ذلك ميناء أوكساجون ومدينة ذا لاين في نيوم⁶⁴.

⁶³ Saudi Arabia's investment fund has been set an impossible task, The Economist, March 14, 2024; <https://www.economist.com/finance-and-economics/2024/03/14/saudi-arabias-investment-fund-has-been-set-an-impossible-task>

⁶⁴ Red Sea crisis raises Saudi construction costs, MEED, 13 March, 2024; https://www.meed.com/red-sea-crisis-raises-saudi-construction-costs/?utm_source=organic&utm_medium=linkedin&utm_campaign=newsletter&trk=article-ssr-frontend-pulse_little-text-block

بصورة عامة، ووسط طوفان الأخبار حول أحدث استثمارات السعودية في الرياضة، ومشاريع نيوم، يجعل من الصعوبة الحصول على صورة واضحة حول تأثير التغييرات التي أحدثتها رؤية 2030 على الاقتصاد السعودي، لأن مؤشرات النمو والصادرات والتضخم تتأثر بعوامل لا ترتبط بشكل مباشر بتلك التغييرات من بينها نسبة مشاركة المرأة في سوق العمل، وزيادة نسبة تدفق السياح الأجانب، وانتعاش الاستثمارات الأجنبية في القطاعات غير الهيدروكربونية، وقدرة النظام التعليمي على تأهيل الشباب للإنخراط في سوق العمل⁶⁵. وهذه المؤشرات لا تزال قيد الفحص والنقاش، إذ لا تزال نسبة مشاركة المرأة في سوق العمل متدنية، وفي أعلى التقديرات تقف عند حدود 35% مع التحفظ على الأرقام الصادرة عن الحكومة⁶⁶. ولناحية أعداد السياح الأجانب الذين زاوا المملكة فلا يمكن الوثوق بإحصائيات الحكومة، لأنها غير محايدة وتتعمد تقديم أرقام مبالغ فيها لرسم صورة جاذبة وتندرج في سياق الدعاية السياحية، لذلك فإن القول بأن 27 مليون سائحًا أجنبيًا دخلوا المملكة في العام 2023، بحسب وزير السياحة السعودي، ينطوي على إشارات غامضة ومقصودة، لأن الغالبية العظمى جاءوا للسياحة الدينية، أي للحج والعمرة⁶⁷. أما الاستثمارات الأجنبية فلا تزال متدنية للغاية قياسًا إلى السنوات الأخيرة من عهد عبد الله، وعلى الرغم من التحذير الذي أطلقه الحاكم الفعلي للمملكة بعدم السماح للشركات الأجنبية بفتح فروع لها ما لم تقرّر نقل مراكزها الإقليمية إلى السعودية، فإن البيانات التي تقدّمها وزارة الاستثمار عن تدفق الاستثمارات الأجنبية مخيبة إذ أظهرت بيانات الوزارة في يناير 2024 أن صافي تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر إلى السعودية بلغ 11.4 مليار ريال (2.93 مليار دولار) في الربع الثالث من العام 2023، بانخفاض عشرة بالمئة عن الربع

⁶⁵ تيم كالين، أربعة مؤشرات لمتابعة تقدم الإصلاحات في السعودية، معهد دول الخليج العربية في واشنطن، 31 يناير 2024، الرابط: <https://agsiw.org/ar/four-indicators-to-track-saudi-reform-progress-arabic>

⁶⁶ الهيئة العامة للإحصاء: تصدر تقرير عن المرأة السعودية لعام 2022م، الهيئة العامة للإحصاء، 13 أغسطس 2023، الرابط: <https://www.stats.gov.sa/ar/news/472>

⁶⁷ وزير السياحة السعودي: 27 مليون سائح أجنبي دخلوا المملكة في 2023، العربية، 6 فبراير 2024، الرابط: <https://rb.gy/vv2i35>

الثاني. وإن إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر بلغ 7.2 مليار ريال (1.9 مليار دولار) في الربع الثالث من 2022⁶⁸.

وعلى الرغم من جهود فريق ابن سلمان في جذب الاستثمارات المحلية والأجنبية، فإن مستوى الإقبال لا يزال محدودًا، وفي عام 2018 قاطعت بنوك أجنبية عن المشاركة في مؤتمر الاستثمار في الرياض على خلفية ضلوع محمد بن سلمان في مقتل الصحفي جمال خاشقجي وتقطيع جسده داخل القنصلية السعودية في اسطنبول⁶⁹. وبعد مرور خمس سنوات على الحادثة لا يزال الاستثمار الأجنبي المباشر في مشاريع 2030 محدودًا، بسبب مخاوف المستثمرين بشأن الطموحات غير الواقعية لدى محمد بن سلمان والقلق من الحاق وصمة مقتل خاشقجي بهم. وبحسب كارين يونغ، من معهد الشرق الأوسط، فإن العديد من المشاريع العملاقة في رؤية 2030 قد يتم سحبها أو إيقافها مع ارتفاع التكاليف⁷⁰.

إن الرغبة في تنويع مصادر الدخل لا يبدو أنها تستند على العوامل المذكورة أعلاه، أو على الأقل لا تتوقف عندها طويلًا، ولا يبدو أن المخططين لمشاريع الرؤية لهم صوت عند صانع القرار الذي يصدر أوامره لفريق تنفيذي مطلوب منه تحقيق رغبة سيدهم من دون مناقشة. فمشروع نيوم الذي يمتص اليوم كل المال الذي يحصل عليه يواجه صعوبة تمويلية كبيرة، وقد خضعت المخصصات المالية المرصودة له إلى تبدلات كبيرة، إذ أعلن صندوق الاستثمارات العامة أن المرحلة الأولى فقط لمشاريع نيوم ستكلف أكثر من 319 مليار دولار، بينما كانت الميزانية الإجمالية المرصودة له هي نصف تريليون دولار، حتى بات من الصعب اليوم الحديث عن نجاح المشروع نظرًا للتحدي المتمثل في إعلانات

⁶⁸ Saudi Arabia's 2023 Q3 net FDI at 11 billion riyals - govt data, Reuters, January 31, 2024; <https://rb.gy/webxx2>

⁶⁹ الخليفي: السعودية لن تعاقب البنوك التي قاطعت المؤتمر، الشرق الأوسط، 24 أكتوبر 2018، الرابط: <https://shorturl.at/xC158>

⁷⁰ Megaprojects in the Desert Sap Saudi Arabia's Cash, WSJ, Feb 20, 2024; <https://www.wsj.com/world/middle-east/megaprojects-in-the-desert-sap-saudi-arabias-cash-45478ce5>

الحكومة المستمر عن إطلاق عدد كبير من المشاريع الفرعية، وصعوبة تنفيذها دفعة واحدة، في مرحلة اقتصادية حرجة بالنسبة للمملكة⁷¹.

باتت شهية الإنفاق مفتوحة على مشاريع سياحية و عمرانية وتجارية لا يكاد تقف عند حد معين، فيما يشبه اغتراف الماء من البحر لإرواء ضمأ لا يكف عن طلب الماء، فمشروع الدرعية السياحي الذي أطلق في يوليو 2017 بكلفة تقديرية تتجاوز 237 مليار ريال (63.2 مليار دولار)، تحت مسؤولية الرئيس التنفيذي لمجموعة هيئة تطوير بوابة الدرعية، جيري إنزيريلو الخبير في شؤون الضيافة يثير تساؤلات كبيرة حول إمكانية نجاحه والعائد المأمول منه بالنظر الى الكلفة العالية للمشروع. ويتضمن المشروع فنادق ومطاعم ومتاحف وأسواق ومواقع أثرية وحدائق في منطقة الدرعية، المعقل الأول للمملكة السعودية. ومن المقرر أن ينتهي العمل بالمشروع في سنة 2027، على أمل كسب السواح من الداخل والخارج، وتقدم السلطات السعودية أرقامًا لم يتم التحقق منها خصوصًا وأن بدء الإطلاق السياحة في المملكة جاء متأخرًا أي في العام 2019، ومن غير المؤكد ما إذا كان الطموح بزيارة 100 مليون سائح المملكة بحلول العام 2030 هو رقم واقعي، بالمقارنة مع دولة سياحية مثل تركيا التي بالكاد تجاوزت نصف هذا العدد في عام 2023⁷².

في الواقع، إن صندوق الاستثمارات العامة يستنزف المال العام دون حساب للعواقب، ولا يجد الوقت حتى لمراجعة جدوى المشاريع التي يخطط للدخول فيها، ويقول المراقبون لأداء الصندوق بأن لا سقف مالي يمكن أن يقف عنده فهو يحتاج إلى مئات المليارات من الدولارات للإنفاق على المشاريع والصفقات التي يدخل فيها. يزعم رئيس الصندوق ياسر الرميان بأنه يدير أصولًا بقيمة تريليوني دولار، ولكنه في الواقع لا يحوز على ربع هذا الرقم، ولكنه يعوّل على تمويل من الحكومة وبيع أصولها والإقراض من البنوك المحلية ومصادرة

⁷¹ Neom Is Becoming a Destination of Destinations, AGSIW, January 26, 2024; <https://agsiw.org/neom-is-becoming-a-destination-of-destinations/>

⁷² 53 مليون سائح زاروا تركيا في 11 شهرا، الجزيرة، 22 ديسمبر 2023، الرابط: <https://shorturl.at/fiNR5>

أموال التجار تحت عنوان مكافحة الفساد..فالحكومة مطالبة بالمساهمة بمبلغ 270 مليار دولار في صندوق الاستثمارات العامة بحلول عام 2030، وهذا يعني المزيد من المخاطر المالية، وذلك عبر زيادة عبء المديونية، وثانيًا خفض الاحتياطي التي تبقي الريال مرتبطًا بالدولار. بطبيعة الحال، إن حجم الانفاق المقرر منذ اطلاق رؤية السعودية 2030 في العام 2016 يفترض سعرًا مرتفعًا للبرميل من النفط أي ما بما يتجاوز 80 - 85 دولارًا، وهذا ما لم يتحقق فعاد العجز الذي اعتقدت الحكومة السعودية بأنها قد عالجته بعد سنوات طويلة تمتد من 1982 - 2003، قبل أن تعود أسعار البترول بالارتفاع مجددًا مع نكسات عابرة جرى تجاوزها بفعل الاحتياطي المالي الكبير. ولكن تراوحت اسعار البترول حول 81 دولارًا في العام 2022، وعلى الرغم من الانفاق الضخم إذ بلغت النفقات التشغيلية في العام المالي 2022م نحو 1,021 مليار ريال مرتفعة بنسبة %18.3 (158 مليار ريال) عن الميزانية المعتمدة⁷³. في النتائج، شهدت السعودية انكماشًا اقتصاديًا في عام 2023، كما عانت من عجز بلغ 21 مليار دولار، أي ما يعادل 2% من الناتج المحلي الإجمالي، ومن المتوقع ان تسجل الموازنة السعودية عجزًا سنويًا متفاوتًا حتى العام 2026⁷⁴.

إن تسارع الفجوة المالية أدت الى تسارع وتيرة المديونية بأرقام عالية جدًا، وفي خطوة مفاجئة أعلن المركز الوطني لإدارة الدين التابع لوزارة المالية في التاسع من يناير 2024 عن إتمام طرح الأولي لسندات دولية بالدولار، بقيمة 12 مليار دولار موزعة على 3 شرائح، وتبلغ الشريحة الأولى 3.25 مليارات دولار لسندات مدتها 6 سنوات تستحق في عام 2030، وتبلغ الشريحة الثانية 4 مليارات دولار لسندات مدتها 10 سنوات تستحق في 2034، أما الشريحة الثالثة

⁷³ تقرير أداء الميزانية الفعلية لنهاية العام المالي 2022، وزارة المالية، المملكة العربية السعودية، ص 12، الرابط: <https://www.mof.gov.sa/financialreport/2022/Documents/END%20Bud-A%202022.pdf>

⁷⁴ وزارة المالية تعلن البيان التمهيدي لميزانية العام المالي 2024م بنفقات تقدر بـ 1,251 مليار ريال وإيرادات بـ 1,172 مليار ريال، وزارة المالية، 30 سبتمبر 2023، الرابط:

https://www.mof.gov.sa/mediacenter/news/Pages/News_30092023.aspx

فهي بقيمة 4.75 مليارات دولار لسندات مدتها 30 سنة تستحق في 2054⁷⁵. وكان المركز قد أعلن في 10 ديسمبر 2023 عن انتهاء ترتيبات قرض دولي بقيمة 11 مليار دولار لتلبية الاحتياجات التمويلية، وتمويل المشاريع التنموية ومشاريع البنية التحتية المرتبطة برؤية السعودية 2030⁷⁶. ومع أن السعودية تحوز على ما مقدراه 132 مليار دولار من سندات الخزنة الأميركية، وتأتي في المرتبة الحادية عشر في قائمة الدول المالكة لسندات الخزنة الأميركية، ما قد يمنع وقوع انهيار مالي وشيك، ولكن الاندفاع غير المنضبط نحو الاقتراض سوف يؤدي الى تآكل الاحتياطيات المالية على المدى المتوسط. وقد أظهرت بيانات موازنة العام 2023 عن دين عام يتخطى لأول مرة عتبة تريليون ريال (267 مليار دولار)، ومع أنه لا يزال دون 25% من الناتج المحلي الإجمالي إلا أن تقديرات المركز الوطني لإدارة الدين العام تفيد بأنه سوف يتجاوز حاجز 26% في العام 2024⁷⁷. ولا مشكلة في ذلك من حيث المبدأ، طالما لم يتجاوز العتبة بحسب متانة الاقتصاد الوطني، ففي فرنسا بلغ الدين العام 112% من الناتج المحلي الاجمالي في العام 2022 وفي ألمانيا 66.1% وفي بريطانيا 97.1% واليابان 264%، وهي دول تتصدر اقتصاديات العالم، وطالما أن الدين العام لا يتسبب في اختلالات مالية تنعكس هيكلًا على البنية الاقتصادية ولم يمس الجوانب السيادية، خصوصًا تلك المفروضة من البنوك الدولية التي تجبر على تبني برامج اقتصادية تحدث تغييرًا جوهريًا في نوعية الحياة، ومستويات الرفاه الاجتماعي والاقتصادي لغالبية السكان بموجب سياسات التقشف التي غالبًا ما يطالب بها صندوق النقد والبنك الدولي، وما يترافق معها من خفض

⁷⁵ السعودية تصدر سندات دولية بقيمة 12 مليار دولار على 3 شرائح، العربية، 9 يناير 2024، الرابط:

<https://shorturl.at/hktQR>

⁷⁶ السعودية تنهي ترتيب قرض دولي مجمّع بقيمة 11 مليار دولار، العربية، 10 ديسمبر 2023، الرابط:

<https://shorturl.at/gD027>

⁷⁷ Annual Borrowing Plan Report, Fiscal Year 2024, National Debt Management Center,

Ministry of Finance, KSA, p.7; https://ndmc.gov.sa/IssuancePrograms/Documents/EN_2024_ABP.pdf

النفقات الحكومية وتجميع الرواتب والأجور وإلغاء أو تقليص الدعم الحكومي للعديد من السلع الأساسية وتالياً تدهور مستويات الحياة الاقتصادية والاجتماعية للطبقات الفقيرة ومتوسط الدخل⁷⁸.

وإنما يحصل الإختلال المالي حين تلجأ الحكومة إلى الاقتراض بأسعار فائدة مرتفعة وتضطر الى الاقتراض بعدها لتسديد الفوائد على القروض وتدخل حينئذ في دوامة الاقتراض الدائم، الذي يجعلها في نهاية المطاف مضطرة الى بيع أصول سيادية من أجل الايفاء بالمستحقات المفروضة عليها، وقد لحظنا كيف تآكلت احتياطات النقد الأجنبي لدى البنك المركزي السعودي من 677 مليار دولار في ابريل 2013 وفي عام 2017 خسر البنك ثلث احتياطياته بسبب انهيار اسعار النفط الى مستويات 30 و60 دولاراً للبرميل فيما كان سعر البرميل في العام 2014 يناهز 115 دولاراً للبرميل، وأدى ذلك إلى زيادة السحوبات المالية من الاحتياطي النقدي ما أدى الى انخفاضه إلى 432 مليار دولار في فبراير 2024.

إن لجوء الحكومة السعودية الى طرح أرامكو في سوق الأسهم يعني أن ثمة صعوبات مالية شديدة تدفع نحو تيني خيار راديكالي من هذا القبيل والتفريط بالبطة التي تبيض ذهباً على مدى عقود، والشريان الحيوي الذي أمد الاقتصاد الوطني بمستوى معيشي محتشم، وحياة عالية، ومكانة اقتصادية متميزة على المستوى العالمي. إن بيع أسهم أرامكو في الأسواق الدولية له تداعيات خطيرة يقلل من قيمة أحد أكبر مصادر الإيرادات المستمرة للدولة: أرباح أرامكو.

ثمة ما يجعل الشكوك حول جدوى بعض مشاريع الرؤية أو حتى استحالة تنفيذها جديرة بالدراسة والتأمل، فمشروع مثل مدينة The Line ينظر إليه كلعبة فيديو خيالية، لأن التكنولوجيا اللازمة لتنفيذه غير موجودة، وعليه فقد لا يرى الضوء

78 حسام عبد العال عبد العال شعبان، أزمة الدين العام في مصر والآثار المترتبة عليها، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، العدد الثاني، الجزء الأول، السنة التاسعة والخمسون، يوليو 2017، ص 261 الرابط:

https://jelc.journals.ekb.eg/article_173430_bc3404934bce8847c766063fd394a9e1.pdf

أبدًا، كونه يعتمد على هياكل زجاجية عملاقة مغطاة بالمرآة وهندسة مستحيلة التنفيذ⁷⁹.

وهناك من يعبر عن مخاوفه من مشروع نيوم من خلفية أمنية، حيث إن التكنولوجيا المراد استخدامها في مشروع نيوم لا تبقى خصوصية لأي من قاطني المدينة المستقبلية، في ضوء سوابق للحكومة السعودية باختراق هواتف الصحافيين والمعارضين والناشطين⁸⁰. وهذه المخاوف من شأنها دفع المستثمرين أو المتحمسين للعيش في مدينة الأحلام إلى التفكير طويلًا قبل تسليم أنفسهم إلى سلطة تخضعهم للمراقبة 7/24، وتفسد عليهم متعة الاستجمام، ولكن من دون حرية.

في الخلاصة، إن رؤية السعودية 2030 قد لا تحقق الهدف المعلن منها بتوفير بدائل عن النفط كمصدر تمويل لمشاريع الدولة، وإنها قد تغذي جنون العظمة لدى محمد بن سلمان الذي تعكسه مشاريع خيالية مثل نيوم وذا لاين، بينما لا يزال وضع حقوق الإنسان مروعًا والقمع السياسي ساحقًا.

⁷⁹ Saudi Arabia's insane £830billion megacity plan 'needs tech that doesn't even exist', Daily Star, 16 Aug, 2022;

<https://www.dailystar.co.uk/news/world-news/saudi-arabias-insane-830billion-megacity-27755821>

⁸⁰ Saudi Arabia's \$500 billion megacity Neom is creating plans to harvest an unprecedented amount of data from future residents. Experts say it's either dystopian or genius, Business Insider, March 24, 2021;

<https://www.businessinsider.com/neom-saudi-smart-city-data-surveillance-plans-experts-2021-3?r=US&IR=T>